المحور الأول : تاريخ انتشار الإسلام في مالي:

أولا: دور التجار المسلمين خلال القرن الخامس الهجري:

رغم أن التاريخ الدقيق لظهور مملكة مالي ككيان سياسي، لا يزال يشوبه الغموض بسبب نقص المعلومات التاريخية المدونة حول الفترة التي سبقت القرن خامس الهجري، فكل ما كتب حول هذه المرحلة هي معلومات استخلصت من التراث الشفوي المنقول للمالنكي[1]،

لكنه ابتداء من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد بدأت تظهر المعلومات حول هذه المملكة وخاصة بسبب انتعاش تجارة القوافل بين تجار شمال افريقيا وجنوب الصحراء، والتي بفضلها تمكنا من رصد اول الزعامات المالية التي تعاملت مع التجار المغاربة، وهو ما يجعلنا نفهم بان تطور المعلومات حول مملكة مالي ودول منطقة نهري النيجر والسنغال كانت يتبع تطور العلاقات التجارية بين هذه الممالك ودول المغرب الإسلامي.

ونفهم من هذا الأمر أيضا بأن احتكاك سكان منطقة النيجر والسنغال بتجار المغرب الإسلامي جعلهم يعتنقون الإسلام بطريقة سلمية و سلسة، وهو ما جعل أهل السودان الغربي يندمجون شيئا فشيئا مع المجتمع الإسلامي و ثقافته العربية الإسلامية، وينهلون منها لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخهم ترتبط ارتباطا قويا بالحضارة العربية الإسلامية وتصبح جزءا من تاريخها.

أما بالنسبة لملوك مالي فإن أمر إسلامهم يبقى موضوع جدل بين المؤرخين ، لكنها لاغ تخرج عن إطار العلاقات التجارية التي أقامها ملسمو المغرب مع ملوك و تجار مالي، و مما يعزز هذه الفكرة هو وجود نص تاريخي مشهور تداوله كل من البكري[2] والمصادر الاباضية و على رأسها الدرجيني[3]، و الذي تروي قصة إسلام أول ملك مالي على يد تاجر مسلم، و مفاد هذا النص أن هذا الملك: « قد أجدبت بلاده عام بعد عام، فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها، ولا يزدادون إلاّ قحطا وشقاء، وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة، فشكا إليه الملك ما دهمهم من ذلك فقال له أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته، واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه... ولم يزل به حتى اسلم وأخلص نيته واقرأه من كتاب الله مما لا يسع جهله، ثم استتاب به ليلة الجمعة فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا وألبسه المسلم ثوب القطن.... فقام المسلم يصلي والملك يؤمن فما انفجر الصباح إلا والله قد أعمهم بالسقي، فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته وأهل مملكته مشركون فوسموا ملكهم مذ ذاك بالمسلماني. » [4]

---

(1) احمد الياس، دور فقهاء الاباضية في اسلام مملكة مالي، ضمن موقع الكتروني:
https://om77.net/forums/thread/34761

(2) البكري(أبو عبيد الله بن عبد العزيز):المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، مقتبس من كتاب المسالك و الممالك. مكتبة أمريكا و الشرق ميزونوف، باريس، 1965م.

(3) الدرجيني(أبو العباس احمد بن سعيد):طبقات المشائخ بالمغرب.تحقيق وطبع:إبراهيم طلاي، مطبعة البعث الجزائر، دون تاريخ. الجزء الثاني.

(4) البكري،المصدر السابق ، ص 178.1

نلاحظ من خلال نص البكرة بان اسم هذا الملك كان المسلماني، بينما يسميه ابن خلدون بـ برمندانة حيث يقول : «... يذكرون أول من أسلم منهم ملك اسمه برمندان .... وحج هذا الملك واقتفى سننه في الحج ملوكهم من بعده»[5]. بينما يرجح سبنسر تريمنغهام بان برمندانة ما هو إلا لقب لهذا الملك و تعني بلغة المندي ملك مالي[6].

ومن خلال نص البكري وابن خلدون و القلقشندي[7]، نستنتج بان ملك مالي الذي اسلم كان قبل تأسيس إمبراطورية مالي بقيادة سوندياتا كيتا التي ظهرت خلال القرن السابع للهجرة/13م، وهذا تزامنا مه استقرار الاباضية بعد سقوط دولتهم في واحات فزان وغدامس وسدراتة و ورجلان وغرداية، منذ القرن الثاني للهجرو/الثامن الميلادي، والذي تعزز باعتناق مجموعات من قبيلتي هوارة و زناتة البربريتين للمذهب الإباضي، حيث ارتبط الإباضية بتجارة الصحراء و تخصصوا في التجارة مع بلاد السودان [8]. و تعزز دور الإباضية أكثر في تجارة الصحراء مع ظهور الدولة الرستمية الإباضية في تيهرت عام 776م.

و لقد كانت القوافل الإباضية تتضمن مشروعا اقتصاديا و دعويا في نفس الوقت فلقد كان يتطلب في قائد القافلة العلم و الدراية في فقه التجارة، حسبما لمسناه من قصة ابن الصغير حول منع عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم لابنه افلح من السفر إلى تجارة السودان بسبب إخفائه في الإجابة على مسالة تخص الربا[9]. كما تشير المصادر إلى أن الإباضية كانت لهم مؤسسة علمية تسمى مجلس العزابة و التي تضم كبار رجال العلم سخروا جهودهم للدعوة الإسلامية، حيث وجد عدد من رجالها في بلاد السودان [10].

لهذا فإننا يمكن أن نقول بان التجار الإباضية كانوا أول من قام بممارسة الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا قبل مجيء فقهاء المذاهب الأخرى، و حتى الشهادة التي أدلى بها الشماخي ومفادها: « **بلاد السودان بغانة و ما يليها كانت تدين بالمذهب الإباضي حتى تسامعت بهم المخالفون فقصدوها من كل صوب فردوهم إلى مذاهبهم.**»[11]. فإنها كلها معطيات تجعلنا نعتقد بان النص الذي اورده البكري و الذي يعد اقدم نص يتحدث عن إسلام ملك مالي(يعود إلى القرن الخامس الهجري/11م)، و الذي تناقلته بعد ذلك مصادر إباضية و غير إباضية ، كان الداعية التاجر هو احد فقهاء الإباضية. و حتى إذا رجعنا إلى الدرجيني

---

(5)ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر. مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت، لبنان، 1421هـ /2000م، المجلد السادس، ص 266.

)6(**Trimingham (Spencer)**, The history of Islam in west Africa. Oxford University press, London, 1963, p25.

(7) القلقشندي'ابي العباس، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية ، القاهرة، 1915،المجلد الخامس، ص292.

(8) محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير القاهرة، 1963، ج3، ص 349 .

(9) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين. تحقيق وتعليق: د. محمد ناصر، وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص81.

(10) احمد الياس، المرجع السابق. انظر ايضا: **الدرجيني**، المصدر السابق، ص 326

(11) الشماخي، نقلا عن احمد الياس، المرجع السابق.

فإنه يقول بان التاجر صاحب الدعوة هو علي بن يخلف" الذي سافر إلى سافر إلى بلاد غانة سنة 575هـ/1180م [12].

ثانيا: مجهودات ملوك مالي:

لقد ذكر المقريزي[13]، وابن خلدون اسما بعض ملوك مالي الذين اسلموا وأدوا فريضة الحج، منهم موسى الاكوي الذي يعد أول من حج منهم بعد برمندانة، ومنهم منسا أولي(علي) ابن سونديانا كيتا، الذي حج أيام حكم الظاهر بيبرس في مصر، وأيضا ساكورة[14].

أما أشهر من تحدثت عنه المصادر من الحجاج الماليين فهو منسا موسى بن ابي بكر الثاني، الذي قام ببعث للاستلام في مملكته من خلال محاربة الوثنيين في الجنوب، ونشر الثقافة العربية الإسلامية، و صبغ المجتمع المالي بالصبغة الإسلامية ، في المجالات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية [15]

وقد بلغ تعلق منسا موسى بالإسلام وبأهله، حدا جعله يطلب من شريف مكة خلال تواجده بها أن يرسل معه إلى مالي اثنان أو أربعة من الأشراف المنحدرين من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته ليكونوا رمزا للمباركة التي حضي بها، ويستمد منهم شرعية ملكه أمام رعيته، وتتبرك أرض السودان بخطوات أقدامهم، وأعلن عن مكافأة تقدر بألف مثقال من الذهب لمن يريد الذهاب معه، وفي الأخير استطاع أن يجلب معه أربعة أشخاص من قريش ومعهم عائلاتهم، ومنح كل واحد منهم ألف مثقال ذهب، وأنزلهم في منطقة تسمى شنشن في ضواحي مدينة جني،لكن يعتقد بأنهم ليسوا من الأشراف[16].

وخلال زيارة ابن بطوطة لمملكة مالي وجد بها ملك كان حريص على نشر القيم الإسلامية بين رعيته، وهو منسا سليمان شقيق منسا موسى ، الذي كان محبا للعدل و مقربا للعلماء والفقهاء، ويحرس على تعليم القران و صلاة الجماعة لرعيته[17].

3.دور الرحلات العلمية و الدينية في نشر الإسلام في مالي:

---

(12) الدرجيني، طبقات المشايخ، ص ص 137، 138.

(13)الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء و الملوك.تحقيق:جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، 1420هـ/2000م .

(14) ابن خلدون، العبر ، مصدر سابق، مجلد5، ص 496.

(15) ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص483.، ـ انظر أيضا: **العمري(ابن فضل الله شهاب الدين)** المتوفى سنة 749هـ**:** مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . تحقيق: عزة احمد عباس،الطبعة الأولى، أبو ظبي ، المجمع الثقافي،2002م، السفر الرابع، ص102.

)16(**Mahmoud kati** : Tarikh el fettach. Traduit par: O.Hodas et Maurice Delafosse.Paris, 1913.,p63.

(17) شعباني نور الدين، دور ملوك السودان في نشر الإسلام في السودان الغربي بين القرنين الخامس و العاشر الميلاديين، مجلة كان التاريخية، العدد الرابع عشر، ديسمبر 2011م، ص 47.

إضافة إلى مجهودات التجار الإباضية و غيرهم في نشر الإسلام بين أهالي مملكة مالي، فإن رحلات الحج و الرحلات التابعة للبعثات العلمية من بلاد المغرب و المشرق إلى مملكة مالي كان لها دور عظيم في ربط هذه المملكة بالأمة الإسلامية من الناحية الحضارية.

فبالإضافة إلى ما جلبه منسا موسى من رحلته الشهيرة إلى الحج، فان هناك بعثات علمية أرسلها منسا موسى و غيره من ملوك مالي إلى جامعات فاس و القرويين و الأزهر و الزيتونة والحجاز، من أجل تطوير معارفهم العلمية ليوظفوها في خدمة هذه النهضة عندعودتهم إلى بلادهم، فلقد وجد في جامع الأزهر رواق خاص بالطلبة الوافدين إليه من السودان الغربي يعرف برواق البرتية[18].

وما زالت الروايات الشفوية تذكر بأن الملك منسا موسى كان قد اشترى عدد من الدور لإيواء الحجيج والطلبة في كل من القاهرة ومكة المكرمة[19]. حيث وجدت في القاهرة جالية هامة من الطلبة والفقهاء السودانيين منذ العهد الفاطمي، فقد اندمجوا داخل المجتمع السوداني وكان لهم حي خاص بهم يعرف ببولاق التكرور، وكانت هذه الجالية متجذرة بقوة في الميادين التربوية، الثقافية والدينية في مصر، وذلك بفضل العلاقات القوية التي كانت قائمة بين مصر المملوكية وإمبراطورية مالي خلال فترة حكم منسا موسى، لهذا كان بالمقابل عدد كبير من الفقهاء والتجار والقضاة المصريين قد انتقلوا إلى مالي[20].

ويمكن أن نذكر الشيخ العالم أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري الذي درس في الأزهر وعاش في القاهرة أين كان ينشر علمه ومعارفه إلى غاية وفاته، لهذا وعرفانا له بمجهوداته في سبيل العلم والدين، قام المصريون ببناء فوق قبره قبة ومسجد سمي بمسجد التكروري، حيث قام المماليك البحرية بتجديده وتوسيعه عام 743للهجرة / 1342م.

بالإضافة إلى الشيخ المصري الفقيه القاضي عبد الرحمان التميمي وهو جد القاضي حبيب والفقيه اندغ محمد الكبير، الذي جلبه الملك منسا موسى من الحجاز عند رجوعه من الحج وأسكنه مدينة تمبكتو، لكنه هذا العالم لما رأى عدد الفقهاء بتمبكتو ومستواهم العلمي الذي يفوق مستواه رحل إلى مدينة فاس وتعلم هناك وتفقه على يد علمائها ثم رجع إلى تمبكتو.[21] كما زار موسى كاتب وهو الكاتب الشخصي لمنسا موسى مدينة فاس من أجل الدراسة وذلك بإيعاز وتشجيع من منسا موسى[22].

---

(18) شوقي عطاء الله الجمل:الأزهر و دوره السياسي و الحضاري في إفريقيا. الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، 1988م، ص 44 .

(19) نيان تمسير جبريل: المرجع السابق، ص 176.

)20(**Yattara el Mouloud** , L'islam et les voies de sa diffusion au Mali du 8éme au 16éme siècle. In site : http://www.histoire-afrique.org/article164.html?artsuite=6 consulté le : 20-07-2011

(21) السعدي(عبد الرحمان)،تاريخ السودان، طبعة هوداس، المكتبة الأمريكية الشرقية، ميزونوف، باريس،1981، ص ص47 و51.

(22) Cuoq(Joseph) , Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest (Des origines à la fin du 16ème siècle). Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1984 , p108.

ومن الشخصيات التي اصطحبها منسا موسى معه عند عودته من الحج رفقة الفقيه عبد الرحمان التميمي رجل من عائلة الزعيم الموحدي عبد المؤمن بن علي الذي يدعى المعمر والذي كان له دور بارز في تعليم الملك الشرع الإسلامي من خلال الحظوة التي كان يتمتع بها، ويلازمه دون بقية وزرائه وكبار رجال قومه[23].

إن المجهودات التي قام بها منسا موسى في سبيل نشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية أكسبته مكانة دينية رفيعة لدى شعبه، فلم يعد مجرد إمبراطور فقط، وإنما تحول في نظر الشعب المندي إلى ولي من أولياء الله الصالحين. لذلك نقول بان ملوك مالي عموما ومنسا موسى بصفة خاصة لم يكتفو بانبهارهم بالثقافة العربية الإسلامية والتأثر بها انطلاقا من تعلقهم بالدين الإسلامي وكل ما يرتبط به من لغة وسلوك وثقافة، وإنما استطاعوا أن يدخلوا الإمبراطورية كلها في هذه الثورة الثقافية العربية الإسلامية، رغم بعض الخصائص السودانية التي بقيت تميزها.

(23) ابن خلدون: المصدر السابق، ص 201.